الجهود والخدمات الطبية للإرسالية الأمريكية في البصرة (١٨٩٢ – ١٩١٧م) من خلال تقارير الإرسالية الأمريكية

أ.م.د. كفاح أحمد محمد النجَّار(*)

مقدمة

قدَّم المستوصف الأمريكي في البصرة، التابع للإرسالية الأمريكية العربية[١]، خدماتٍ طبية كبيرة جداً لأهالي البصرة منذ إنشائهِ سنة ١٨٩٢م، فلم تكون هناك مستشفى طبي في البصرة يُقدم الخدمات العلاجية للأهالي بشكلٍ منتظم وفعَّال[٢]. وقد تطور المستوصف ليصبح مستشفى أمريكي متكامل في البصرة سنة ١٩١١م. أُهملت الخدمات الطبية التي قدَّمها الأطباء والممرضين العاملين في المستوصف والمستشفى الأمريكي من قبل المؤرِّخين بشكلٍ ملفت للنظر، إذ انصبَّ اهتمام المؤرِّخون العرب على الجوانب الدينية والسياسية للإرسالية الأمريكية وحاولوا بيان إخفاقها في جذب المسلمين للدين المسيحي والتحذير من أنواع الإرساليات المسيحية وبيان خطرها على الإسلام والمسلمين. ولم يهتموا بما قدَّمه الأطباء والطبيبات العاملين في المستوصف والمستشفى من خدماتٍ كبيرة لأهالي البصرة والمساهمة في علاج الكثير من الأمراض التي كانت مستعصيةً في ذلك الوقت. فيما انصب اهتمام المؤرِّخين الأمريكيين في البحث عن أسباب إخفاق الإرسالية الدينية في البلاد العربية وعدم قدرتها على جعل المسلمين في البصرة خاصةً وجنوب العراق بشكلٍ عام على تغيير ديانتهم من الإسلام إلى المسيحية. وبحثوا عن جهود الأطباء التبشيرية وكيف كان بعضهم يحاول نشر الديانة المسيحية بين صفوف المرضى المسلمين. بالطبع كان الدافع الديني هو السبب الرئيس في قدومهم (وهذا الموضوع تمَّ بحثه بشكلٍ مفصل من قبل المؤرِّخين العرب والعراقيين) لكن لم يؤرِّخ أحد ما الجهود الطبية المُضنية التي بذلها الأطباء الأمريكيين في البصرة وسط ظروفٍ قاسية للغاية من حيث المناخ الحار جداً والرطوبة العالية والأمراض التي أُصيبوا بها هناك وبُعدهم عن ديارهم لفتراتٍ طويلة جداً دون لقاء أهلهم

(*) جامعة بغداد / كلية الآداب. akefah82@yahoo.com

وأحبائهم، وهنا تكمن إشكالية البحث والسؤال المركزي الذي أحاول الإجابة عنه في بحثي المتواضع هذا، هو: كان الدافع الديني السبب الرئيس في قدوم الأطباء الأمريكيين للبصرة، لكن عند انتفاء هذا الدافع بعد وصولهم للبصرة وصدمتهم بثبات الناس على دينهم وعدم الأمل في تغيير دينهم، لماذا لم تنسحب البعثة الطبية واستمرت بتقديم خدماتها بشكلٍ شبه مجاني؟ هل كان الجانب الإنساني هو ما دفع الأطباء للبقاء والاستمرار في البصرة؟ بحثنا ها يُجيب عن هذهِ الأسئلة من خلال اعتمادنا الكُلِّي على تقارير الأطباء الأمريكيين التي كانوا يرسلونها إلى ديارهم، والتي نُشر قسم كبير منها في مجلَّة الإرسالية الأمريكية المُسمَّاة بـ(العربية المهملة) Neglected Arabia، والمقصود بها الجزيرة العربية المهملة.

ساعد مناخ البصرة الحار مع الرطوبة العالية ووجود المستنقعات العديدة على تكاثر العديد من الأمراض والأوبئة في فصل الصيف بشكلٍ خاص، كما أنَّ سطوح المنازل كانت تُفرش بالطين الممزوج بفضلات الحيوانات (حتَّى يتماسك) ممَّا ساهم بخلق بيئةٍ غير صحية بتاتاً وتساعد بشكلٍ كبير على تزايد الأمراض المختلفة. أمَّا عن الأمراض التي كانت منتشرةً في البصرة فهي: الجدري، والحصبة، والسعال الديكي، والتراخوما، والسل، والأمراض المعوية والتناسلية، والملاريا، وسبب شيوع هذهِ الأمراض كان وجود البعوض المنتشر في المستنقعات، أمَّا العمى وتشوهات الجسم فكانت شائعةً بسبب مرض الجدري والذي كان يقتل كثيراً من الأطفال أحياناً. وكانت الأنفلونزا شائعة في فصل الشتاء وكذلك أمراض الحصى في الكليتين، فضلاً عن هذهِ الأمراض الرئيسة كانت هناك أمراض أخرى، منها: أخطار الولادة، والأمراض الناشئة عن سوء الشروط الصحية والتي كانت تلعب دوراً كبيراً في نسبة الوفاة العالية بين الأطفال، وكان العلاج الطبي المعروف في البصرة والخليج العربي بشكلٍ عام يعتمد على ما يُعرف باسم (الطب الشعبي)[٣].

كان الجهل سائداً في تلك الحقبة في البصرة، وقد عمَّ غالبية الشعب الذي عزا سبب الأمراض إلى القضاء القدر وعقاب الإرادة الإلهية على الآثام، ومنهم مَن كان يُرجع سبب الأمراض إلى الأرواح الشريرة والجن. وبالتالي إذا أرادوا الاستشفاء منها قصدوا في أغلب الأحيان الدجَّالين والمشعوذين ممَّن يدَّعون أنَّ لهم القدرة على طرد الأرواح الشريرة. كما أنَّ الخدمات الصحية في أواخر العهد العثماني كانت شبه معدومة؛ لذلك ظهرت الأمراض بين الناس نتيجة فقر السكَّان وجهلهم، ممَّا جعلهم يهملون علاج مرضاهم مدَّةً من الزمن، أو التطبيب على أيدي العجائز والمشعوذين والسَّحرة[٤]. وسط هذهِ الظروف الصعبة جاء الأطباء الأمريكيون المبشِّرون وبدؤوا العمل في مدينة البصرة.

يُعد عام ١٨٩٢م بدايةً لقيام الخدمة الطبية في البصرة، وبالرغم من حاجة السكَّان الماسة لهذهِ الخدمة فإنَّ الإرسالية الأمريكية العربية واجهت صعوباتٍ عدَّة في هذهِ المنطقة، وأهم هذهِ الصعوبات هي جهل الناس في أهمية نشاطات الإرسالية الطبية لاسيَّما في مراحلها الأولى، لقد كان الناس يترددون في قبول خدماتها في البداية ولكنهم مع الوقت أصبحوا أكثر تقبلاً لها فيما بعد، ثمَّ تطورت العلاقة إلى التعاون إلى درجة التسابق للاستفادة من الخدمة الطبية التي وفَّرتها الإرسالية لهم[٥].

كان أول طبيب أمريكي يتم تعيينه في البصرة هو الطبيب (ريجز) Dr. Clarence E. Riggs، وذلك سنة ١٨٩٢م، الطبيب الذي وصف بأنَّه ملفت للنظر وغريب الأطوار، ولا يمكن الاعتراض على عملهِ الطبي وشخصيته فهو ذو مهاراتٍ ممتازة وإنجيلي كما وصفته المصادر، ولم يمكث طويلاً فقد ترك البصرة في آب من تلك السنة[٦]. أمَّا عن سبب تركهِ للبصرة فقد أشار المؤرِّخون الأمريكيون إلى أنَّه: «تبيَّن أنَّ آراءه الدينية حول بعض المواضيع الأساسية مثل إلوهية المسيح وغيرها من أمور الإيمان لا تتفق مع آراء المسيحيين الإنجيليين، كما أنَّه لم يكن على وفاق مع زملائهِ في العمل في بعض الأمور"[٧]، وبالرغم من صحَّة هذهِ المعلومات لكن (ريجز) حاول رغم اختلاف معتقداتهِ (لاسيَّما هو موحِّد) البقاء في البصرة لتقديم المساعدة الطبية للناس الذين هم في أمسِّ الحاجة إليها، وقد ذكر ذلك من خلال رسالتهِ إلى مجلس أمناء الإرسالية العربية المؤرَّخة في ٤/ حزيران/ ١٨٩٢م، قائلاً: «آخر ليلة (الرابع من حزيران ١٨٩٢م) كنا (السيدة كانتين .Mess Cantine وزويمر وأنا) نتحدث حول موضوع يسوع المسيح، وخلال المناقشة سألت السيد زويمر إذا كان يعتقد بأنَّ المسيح هو الله، أجاب: نعم. وسألت: إذا لم أفعل أنا؟ إجابتي هي: لا. أي أنَّه لا يؤمن بأنَّ المسيح هو الله. جوابي جعلهم متفاجئين». رسالته دلَّت على صراحتهِ الساذجة بشكلٍ ملفت للنظر. وذكر أنَّه أراد ممارسة عملهِ كطبيب، وأنَّه أذعن لآراء زويمر وكانتين الدينية باعتبارهم مختصين في تلك المسألة، وأنَّه يرغب بأن تكون معتقداته الشخصية لنفسهِ.

واستمر (ريجز) قائلاً: «إذا رأت اللجنة بأنَّه يجب أنْ يستقيل من عملهِ بسبب معتقداتهِ الدينية فإنَّه سيفعل ذلك. وإنَّه يرغب بالاستمرار بممارسة مهنتهِ كطبيب؛ لأنَّه يشعر براحةٍ تامة حينما يُزيل الألم والمعاناة عن إخوانهِ البشر»[٨]. ومن خلال ما تقدم يمكن القول إنَّ (ريجز) رغم إيمانهِ بعملهِ التبشيري ورغم اختلافهِ في العقيدة الدينية مع زملائهِ إلَّا أنَّه أراد البقاء في البصرة والاستمرار بتقديم خدماتهِ الطبية للناس، وأعتقد أنَّ السبب الذي دعاه للبقاء هو شعوره بحاجة الناس الشديدة لطبيبٍ يعالج أمراضهم؛ لذلك فعلى ما يبدو أنَّ الدكتور (ريجز) بدأ يتخلَّى عن عملهِ التبشيري وانصبَّ اهتمامه على الجانب الإنساني؛ لذلك لم يكن يرغب بالرحيل من البصرة رغم اختلافهِ مع زملائهِ.

وصل دكتور (ريجز) إلى البصرة في العشرين من آذار ١٨٩٢م، وبدأ بتعلم اللغة العربية وبالوقت نفسهِ يُجهِّز نفسه لدراسة المواضيع باللغة التركية؛ لأنَّه سيخضع لامتحان فني (تقني) في إسطنبول حسب القانون التركي ليتمكَّن من مزاولة عملهِ في معالجة المرضى. كما أنَّ الإرسالية قررت بناء مستوصفٍ في البصرة حالاً لمعالجة الناس بشكلٍ مجاني. تمَّ افتتاح المستوصف في البصرة في يوم الأحد الموافق الثامن والعشرين من آذار ١٨٩٢م، ووفقاً لتقرير دكتور (ريجز) فإنَّ اليوم الأول شَهِد حضور عشرين مريضاً[٩].

كتب الدكتور (ريجز) تقريراً عن العمل الطبي في المستوصف بشكلٍ مختصر، جاء فيه: «فتح المستوصف في السادس والعشرين من آذار وأُغلق طوعاً من قبل الإرسالية. الافتتاح استمر قرابة شهر، وقد سجل دخول (٥٥٠) مريض، حيث حصلوا على علاجٍ مجاني أو نصيحة طبية وبعضهم عمليات. توفِّي شخص واحد، ثمَّ أُغلق المستوصف

في ٢٨/ نيسان حتَّى ٣٠/ حزيران. سجل عدد الداخلين للمُستوصف (٩٨٠) مريض، توفِّي منهم ثلاثة فقط. شكَّلت أمراض الحُمَّى ما نسبته خمسين بالمائة من المرضى المراجعين، والخمسين بالمائة الباقية كانت أمراض كثيرة أخرى». وأضاف في تقريرهِ: «تمَّ منحنا (٢٥٦) روبية كهدايا من قبل أهالي المرضى»[١٠]. ومن خلال التقرير الوحيد الذي كتبه الدكتور (ريجز) يتبيَّن لنا أنَّه قد عالج ما يُقارب (١٥٣٠) شخص، وهذا عدد كبير جداً بمقاييس ذلك الزمان. ويبدو أنَّ الطبيب لم يكن يجلس أو يأخذ إجازةٍ ما. لكن الإرسالية قررت سحبه من البصرة وإعادتهِ إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنَّه لم يكن متوافقاً مع أهداف الجمعية، وبذلك خسرت المستشفى أول طبيب يوفد إليها.

وصل إلى البصرة الدكتور جيمس ويكوف James T. Wyckoff في آذار من عام ١٨٩٤م، ليحل محل الدكتور (ريجز)، وبدأ يختلط بالناس ويقدم العلاج، ثمَّ لم يلبث طويلاً بسبب تعرضهِ لمرضٍ في البصرة أثَّر على صحتهِ وأجبره للعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فلم يُكمل سنة في البصرة[١١]. بالرغم من عدم مكوثهِ طويلاً في البصرة، إلَّا أنَّه كان يحمل معه الرغبة الشديدة لمساعدة الناس، فعند وصولهِ جاءت إليه تعليمات بعدم فتح المستوصف واستقبال المرضى؛ لأنَّه كان مشغولاً جداً بتعلُّم اللغة العربية كلاماً وكتابةً على يد مدرِّسٍ محلي. ورغم تلك التعليمات ورغم انشغالهِ بالدراسة لكنه أصرَّ على استقبال الحالات المرضية في المستوصف، فخلال ستة أسابيع أظهرت التقارير أنَّه عالج تسعين حالةٍ مرضية في البصرة، ومن تلك الحالات التي عالجها: نزلات البرد common colds ، والالتهاب الشعبي bronchitis ، والتهاب اللوزتين tonsillitis ، والحصبة measles ، وأمراض القلب الوظيفية Functional disease of heart؛ بسبب الإفراط بالتدخين، وأمراض تسمم الدم عند النفاس puerperal septicemia، والتهاب رئوي pneumonia ، وأمراض الإمساك functional constipation[١٢].

وفي منتصف عام ١٨٩٤م تقريباً ازداد حجم العمل بشكلٍ ملحوظ عندما انتشرت الحمى والأمراض الأخرى المعتادة في المنطقة. وبحلول عام ١٨٩٥م أصبح النشاط العلاجي المطلوب فوق طاقة طبيبٍ واحد[١٣]؛ لذلك جاء التعيين الآخر، وكان للدكتور أج. آر. لانكفورد وارل H. R. Lankford Worrall، الذي غادر نيويورك في الثاني من كانون الثاني ١٨٩٥م متوجهاً إلى إسطنبول لأخذ الدبلوم المفروض على الأطباء الأجانب من قبل السلطات التركية، ووصل إلى البصرة في ١٧/ نيسان، ووجد المستوصف مغلق لعدم وجود طبيب مؤهَّل فيه، وعمله في البداية كان متقطعاً بسبب مرضهِ أو شعورهِ بالغثيان[١٤].

ذكر الدكتور (وارل) في تقريرهِ لسنة ١٨٩٥م، أنَّ العمل بدأ في المستوصف في ٢٢/ نيسان واستمر الافتتاح حتَّى ١٢/ أيار، وكان المستوصف يستقبل جميع الناس، وفي البداية كان يُطلب من المراجعين دفع روبية واحدة للكشف والعلاج من القادرين على الدفع، وأمَّا الذين لا يستطيعون الدفع فيتم علاجهم بالمجان، وبما أنَّ المستوصف صغير ولا يستوعب الحالات المرضية التي تستوجب المبيت، قرر الدكتور (وارل) أخذ تلك الحالات لمبنى الإرسالية وتخصيص غرفةٍ لهم مع تأثيثها بالأسرة[١٥].

مكـث الدكتـور (وارل) طويلاً في البصرة، وأصبح يُجيد اللغة العربيـة وفن التخاطب مع الناس، وتداخل مع حياة المجتمع في البصرة؛ لذلك نراه غالباً ما يذكر في تقاريرهِ أنَّه يشعر بالسلام والهدوء، وطبعا كان السلام الذي يشعر بهِ يُتيح له العمل بشكلٍ أكبر وأكثر دقَّةً، وربما نسيانه للتعب والضغط الكبير الذي يقع على كاهلهِ.

جدول رقم (١)

الأمراض التي عالجها الدكتور (وارل)[١٦]

المجوع الكلي	أمراض باطنية	أمراض جراحية	أمراض عيون	أمراض أذن	مجاري بولية	ورم	أمراض أخرى
٢٢٥ شخص	١٣٥	٣٣	٣٤	٣	٣	١	١٥
عدد الذين تمَّ شفائهم		١٩٢					
تحسنت حالتهم		٣٠					
موت		٣	واحد مات نتيجة مرض السل، وآخر نتيجة ورم، والثالث نتيجة تشنجات ظهرية شديدة				
رجال	١٤٦						
نساء	٣٧						
أطفال	٤٢						

يلاحـظ مـن الجدول أعـلاه، أنَّ عـدد الرجال أكثر مـن عدد النسـاء الذيـن زاروا المسـتوصف، ويرجع ذلك إلى خـوف الرجال من كشـف نسـائهم لأجنبـيٍّ إلَّا في الحالات الطارئة جـداً، وهذهِ عـادات المجتمع المتحفِّظ كمُجتمـع البصرة. عند افتتاح المسـتوصف في أول مـرة كانت تعتمد على طبيبٍ واحد، فـما أنْ يرحل إلى بلادهِ في مهمةٍ ما أو زيارةٍ عائلية فإنَّ المسـتوصف يُغلق لفترة حتَّى يتم تعيين طبيب آخر أو يعود الطبيب السـابق من إجازتهِ، لذلك نرى الانقطاعات، وقد انتهت هذهِ الانقطاعات في بداية كانون الثاني ١٨٩٦م، وهذهِ المرة كان الافتتاح طوال العام بسبب التزام الدكتور (وارل) ومكوثهِ لمدَّةٍ طويلة دون الذهاب في إجازة.

خـلال الأيـام الأولى للافتتـاح قَـدِم عـدد قليل مـن المراجعـين. الأرقام تصاعـدت بشـكلٍ تدريجي حتَّى وصل كمُعدلٍ سـنوي إلى سـتة آلاف مراجع. وأشـارت إحصائيات المسـتوصف لعام ١٨٩٦م إلى أنَّ أكثر من (٦١٥) مريض تلقَّوا علاج كامل. مسـلمين (٣٧٠)، مسـيح (١٧٩)، و (٦٦) من الصابئة واليهود. بلغ عدد النسـاء (٧٥) وعـدد الأطفـال (٢٠). الذين أخذوا علاجٍ طبي عددهم (٤٥٦)، و تـمَّ إجراء (٩٨) عملية من ضمنهـا (٦١) حالـة عيون. تنوعت الحـالات بين الطفيفة والشـديدة الخطورة، ومن نزلات الـبرد العادية إلى أمـراض الأمعـاء القاتلـةFatal bowel complaints ، مـن التشـققات إلى البـتر from a Splinter to an amputation، حالات العيون كانت من التهاب الملتحمة النزليةcatarrhal conjunctivitis إلى العمى الكامل total blindness. وفيما يلي تقريراً عن بعض الحالات التي وصفها الأطباء في المسـتوصف:

«جاءتني حالة مهمة وهي لصبي مسلم تعرض مرتين لمرض الاستسقاء الشديد، لكنه كان شجاعاً جداً وتحمل مرضه. حالة أخرى كانت لشخصٍ لديه خرَّاج كبير في الأذن الوسطى وكان بحاجةٍ إلى فتحٍ خارجي للخرَّاج، وهنا وجب عليَّ إبلاغ المريض وأخذ الإذن منه لإجراء العملية، لكنه رفض وغادر المستوصف بدون علاج»[١٧]. ويُشير هذا التقرير إلى صعوبةٍ أخرى كان يواجهها الأطباء الأمريكيون، وهي عدم ثقة الناس بما يقدمونه، لاسيَّما عند الحاجة إلى إجراء العمليات. لكن أغلب الناس كانوا يأتون على أمل الحصول على علاجٍ أو الكشف عن حالتهم الصحية، ففي هذا العام ١٨٩٦م، زاد عدد المراجعين للإرسالية، فقد بلغ أكثر من (١٠٢٥)[١٨]. وهنا يمكن القول إنَّ الناس كانوا يثقون بما يقدمه الأطباء من علاجٍ ومن تشخيص، لكنهم كانوا يخشون من إجراء العمليات الجراحية؛ ولعلَّ سبب ذلك يعود إلى عدم سماع الناس عن تلك العمليات؛ لأنَّهم ببساطة لم يكونوا قد رءوا سابقاً مستشفى.

كتب الدكتور (وارل) في تقاريرهِ عن العمل الطبي في البصرة عام ١٨٩٦م، قائلاً: «عملنا الطبي في الأشهر الماضية كان مليئاً بالحالات، وفي الحقيقة من الصعب عليَّ الاختيار فيما أقوله ممَّا مرَّ عليَّ من الحالات. هنا أصبح لدينا مكان رائع وهادئ وننعم بالسلام، فلا توجد تدخلات من قبل السلطات في أعمالنا، ونلاقي الاحترام من الناس، ولاسيَّما الذين تلقَّوا العلاج عندنا»[١٩]. لكن ذلك السلام الذي شعر بهِ لم يدوم طويلاً؛ وسبب تكدر الطبيب كان الفقر الشديد الذي يُعاني منه الأهالي في البصرة، فنراه يستطرد في تقريرهِ قائلاً: «غالباً ما نشعر بقلَّة الحيلة لتقديم المساعدة، ليس لنقصٍ في الأدوية لأنَّه لدينا دواء كافٍ، ولكن لعدم قدرتنا على إطعام المرضى الذين هم في الغالب مرضى بسبب نقص الطعام. يوجد في البصرة الكثير جداً من الفقراء الشديدين الفقر الذين لا يملكون بنساً (قرشاً) لدفع أجور قارورة العلاج، ويقولون إنَّ مبلغ العلاج يكفيهم لشراء وجبة من الرز. البارحة جاء رجل عمره حوالي (٥٠) سنة وقف أمام المستوصف واستلقى بجانب الشباك، طبعا نحن لا نسمح بأنْ يتسكَّع أحد هناك، فأرسلنا الخادم لتحريكهِ بعيداً، لكن بعد التقصي وجدنا أنَّه يُعاني من المغص والجوع. قليل من الدواء يشفيه من الألم. ومثل هذهِ الحالات تمر علينا بشكلٍ كبير»[٢٠]. تلك الحالات كانت تُسبِّب ألم نفسي للدكتور (وارل) وغيره من الأطباء، فكانوا لا يستطيعون تقديم شيء للفقراء، وما أصعب أنْ يكون المرء مملوءاً بالعاطفة الإنسانية ويريد أنْ يمنح الناس العلاج والأمل لكنه لا يستطيع وليس بيديهِ حيلة.

في الحقيقة، لم يكن الفقر يؤثر على الكبار وإنَّما كان التأثير الكبير يقع على الأطفال، وبهذا الصدد ذكر الدكتور (وارل) في تقريرهِ لشهر نيسان ١٨٩٦م،ما نصه: «يأتينا الكثير من الأطفال الفقراء للعلاج، وهم بحاجةٍ إلى منشِّط (حبوب زيت السمك)، طفل فقير آخر جاء إلى المستوصف وهو يُعاني من انتفاخ في الغدد مع حمَّى وكحَّة، وفوق كلِّ ذلك كم كان قذراً. الطفل المسكين كان يتجاوز أي مساعدة مؤقتة – أي أنَّه لا يحتاج إلى مساعدة مؤقتة بل إلى مساعدة دائمة – وكيف نستطيع تحقيق رغبتنا بمنحهِ الطعام بشكلٍ دائم كما نعطيه المنشِّط. نحن نعطي المنشِّطات في المستوصف لكلِّ الأطفال، لكن في حالة هذا الطفل لا نستطيع منحه طعاماً أكثر، وذلك للنقص في المؤن، أنا أتساءل هنا:

ألا يستطيع فتيان وفتيات بلادنا مساعدة هؤلاء فقط في البصرة لمنحهم الطعام والمنشطات؟»[٢١].

إنَّ التقرير السابق يكشف البُعد الإنساني للمُستوصف وللطبيب (وارل) ومَن معه، الذين أصبحوا مندمجين مع حياة المجتمع العراقي، وبدؤوا يعانون لمعاناة العراقيين من الفقر والجوع، فتراه هنا يُطالب المجتمع الأمريكي بتقديم تبرعاتٍ لإطعام الفقراء من الأطفال، ولم يطالب بتبرعاتٍ من أجل إنشاء كنيسة أو مكتبة لنشر الدين المسيحي، رغم أنَّ هدفه الذي جعله يترك بلاده ويأتي للعراق كان التبشير بالمسيحية، لكنه على ما يبدو قد تناسى هدفه التبشيري لِمَا رآه من الواقع المؤلم الذي يعيشه المجتمع في البصرة، فتحول هدفه إلى محاولة مساعدة الناس والأطفال بشكلٍ خاص، وتخليصهم من فقرهم وآلامهم.

شَهِد عام ١٨٩٩م حدثين مهمين في ميدان الطب لم يسبق للإرسالية أنْ واجهتها في المنطقة، الأول: هو إجراء العمليات الجراحية بشكلٍ كبير، وقد بدأت العمليات الجراحية بعد سبع سنواتٍ من بدء الخدمة الطبية في المحطة؛ لأنَّ العمليات تحتاج إلى أدواتٍ خاصة وإلى أطباء مهرة، فضلاً عن موافقة وتأييد الأهالي، وكلِّ هذهِ الأمور بحاجةٍ إلى وقت. وقد قام الدكتور (وارل (بإجراء عملياتٍ عدَّة في ذلك العام. لقد كان يُجري هذهِ العمليات في إحدى غرف الإرسالية؛ لأنَّ مستشفى البصرة لم يكن قد بُني حتَّى ذلك الوقت. والثاني: انتشار وباء الكوليرا[٢٢]، ولم يكن بإمكان المستوصف الصغير مواجهة ذلك الوباء.

وخلال سفر الدكتور (وارل)، وصل الدكتور شارون جي توماس Sharon J. Thomas في عام ١٩٠٠م، وبقي المستوصف مفتوحاً خلال فترة الصيف، خلال أشهر حزيران وتموز وآب، وتمَّ علاج أكثر من (٢٦٥٠) مريض، وأُجريت عدد من العمليات المهمة بمُساعدة الطبيب الإنكليزي في البصرة وأتباعه، وقد اتبع الدكتور (توماس) طريقة الدبلوماسية في التعامل مع المسؤولين الأتراك، وكما ذكر بتقريرهِ أنه: «لحسن حظي ضمنت صداقة عددٍ كبير من المسؤولين الأتراك والوالي»، لكن الدكتور (توماس) لم يستمر طويلاً في البصرة، فقد غادرها إلى البحرين في أيلول ١٩٠٠م[٢٣].

لم يكن تنقل الأطباء السبب الوحيد لإغلاق المستوصف أكثر من مرة، بل كان هناك سبباً آخراً، يكمن في مكان المستوصف، فلم تكن المستشفى قد بُنيت بعد، وكان أطباء الإرسالية يستأجرون البيوت لتكون مستوصفاً لهم، وبما أنَّ العادة جرت على أنَّ الأجنبي يستطيع الدفع، كان أصحاب البيوت يطالبون بزيادة الإيجار، لاسيَّما عند مشاهدتهم الأعداد الغفيرة التي تأتي إلى المستوصف فيظنون أنَّ المستوصف يربح أموالاً طائلة؛ لذلك عانى الأطباء من مسألة الزيادة في الإيجار، وفي الخامس والعشرين من تموز سنة ١٩٠٢م انتقل المستوصف من موقعهِ القديم (كان الموقع القديم يقع في منتصف الطريق بين مدينة البصرة وضاحية المقام (Magam)) إلى موقعٍ جديد بالقرب من الجسر الرابط بين مركز البصرة وضاحية المقام، وهذهِ المرة كان البيت المستأجر يتكون من خمس غرف نوم مع مطبخٍ وحمام، فضلاً عن غرفةٍ أخرى تصلح أنْ تكون مخزن أو شي آخر. وقد ذكر الدكتور (وارل) في تقريرهِ لشهر تموز ١٩٠٢م، ما يأتي: «لقد كان تهديدنا الدائم بزيادة الإيجار حافز

لنـا للبحث عن مكانٍ آخر»[٢٤]، وفي التقرير نفسـهِ يورد الدكتـور (وارل) أعداد المـرضى الذين زاروا المسـتوصف، قائلاً: «كان عدد المرضى الذين زاروا المستوصف في الموقع القديم (٥٨٦٤)، وتمَّ علاج (١٥٠) مريض، والمعدل اليومي لاستقبال المرضى كان (٣٩) باليـوم، وكان يوم عـشرة يونيو يوم مميز فقد استقبلنا (١١٥) مريض، وكان من سوء حظنا أنَّـه في يـوم نقلنـا للمُسـتوصف من المـكان القديم أتانـا مريض لديـه التهـاب الزائدة الدوديـة، لكننا عالجناه»[٢٥].

واجـه المسـتوصف مـرض الحمَّى الـذي كان يتعـرض إليـه أهـالي البـصرة شـتاءاً وصيفـاً، ففي الصيف حيث الحرارة الشـديدة والجفاف ممَّا يؤدي إلى ازديـاد حـالات الحمى وحـدوث وفياتٍ كثيرة بسـبب الظـروف الجويـة غـير الطبيعيـة، فالنـاس تسـتلقي في الليل على أسـطح المنازل ومع الصباح يهـب هـواء خفيـف وتـزداد نسـب الرطوبـة عـلى السطوح، ممَّا يُسبِّب الحمَّى عندهم[٢٦].

أجـرى المسـتوصف سـنة ١٩٠٢م العديد من العمليـات، لاسـيَّما مـا يتعلَّـق بإمـراض العيـون، وفيـما يـلي بعـض مـن هـذهِ العمليـات: اثنـان cataract لإعتـام عدسـة العـين، واثنـان عملية رفـع العدسـة Two for cataract and two iridectomies، أحـد مـرضىCataract بـدا عليه أعراض تحسن من العملية، ولكن أثناء فحص المريـض بعد العملية أثبـت أنَّه أعمى من أثر إصابةٍ سابقة بـكلوكوما Glaucoma التي لا ينفع معها أيِّ عمليـة. وفي حالـةٍ أخرى لمريـضcataract لم تكن النتائج واعدة كثيراً، رغم أنَّ المريض اسـتطاع المغـادرة والمشي لكنـه أصبح بإمكانهِ فقـط أنْ يميز الطريـق ويميز الأشـياء كالأشـجار. الأول كانت العملية لرفع العدسـة تُعطي أمل بالتحسن، لكن لم تُثبـت نجاحها عـلى الرغم من أنَّ المريض لم تسـوء حالته، وأضاف بأنَّ: «العمل مسـتمر وهناك قائمة عمليـات بالانتظار وتجري في حالـة توفرها. نحن نصلِّي وندعو لنجاح العمليات بشكلٍ جيد»[٢٧].

وعـلى الرغـم مـن عـدم وجـود غرفـةٍ خاصة للعمليـات الجراحيـة، أو ممرضة مسـاعدة في ذلك الوقت، لكن الدكتور (وارل) كان يقوم بالعمليات الطارئة لوحدهِ، مثل بـتر ذراع رجل نتيجة تعرض يدهِ لعضَّاتٍ من سـمك القرش، وكذلك عمليات الرجـال الذيـن كانـوا يتعرضون للطعن (بسـكين أو خنجـر أو ما شـابه ذلـك) من قبـل الآخرين في البطن، وحالات قليلة من السرطان[٢٨].

الدكتور وارل وزوجته وعملهما في مستوصف البصرة

الدكتـورة (وارل) هي زوجة الطبيب (وارل)، وكانـت المسـاعدة الوحيـدة للدكتـور (وارل) في مسـتوصف البـصرة، لاسـيَّما في العمليـات التـي يقوم بها للنسـاء؛ لأنهنَّ كُنَّ يعترضن على أنْ يراهنَّ طبيـب. وقـد ذكـرت السـيدة (وارل) في تقريـرٍ طويـل أوضاع النـاس في البـصرة، وطريقة تعامل المستوصف معهم، فذكرت بأنَّ هناك بعض المرضى الأغنيـاء[٢٩] الذيـن يدفعـون أجـور المسـتوصف: «ففي السنة الماضية على سبيل المثال، فإنَّ نسبةً كبيرة من تكاليف الأدوية قد تمَّ دفعها من الرسوم الطبية في البـصرة»[٣٠]، في مقابـل ذلك فـإنَّ جميع المرضى الفقـراء يتـم علاجهـم بالمجَّـان، وإنَّ المسـتوصف يحاول الاعتماد على نفسـهِ من خـلال: «أخذ أجور مـن جميع القادرين على دفـع العلاج»[٣١]، وذكرت السـيدة (وارل) عـن بعـض الحـالات التي وردت

إلى المستوصف، منها حالة حرجة لصبي، ويبدو أنَّ قصة ذلك الصبي قد أثرت تأثيراً كبيراً في نفس السيدة (وارل)، التي كتبتها بالتفصيل في تقريرها؛ لذلك سأورد نص ما ذكرته: «في الآونة الأخيرة جاءنا صبي في المستوصف يبلغ من العمر خمسة عشر سنة، كان يعمل عاملاً في إحدى السفن العاملة في ميناء البصرة، وانحشرت إحدى أصابعه بإحدى الآلات وكادت أنْ تقطعها نهائياً، وعلاوةً على ذلك كانت عظام يده قد كُسر منها جزءٌ كبير، ووجدنا باليد تمزقاً شديداً. لم يكن أمامنا سوى نزع الأصبع، لكننا قمنا بوضع عدَّة غرز للفتى حتَّى التأم جرحه وشُفي تماماً فيما بعد. وبرغم أنَّ يد الصبي كانت مغطَّاةً بشحمٍ أسود عندما جاء إلينا، وبدا وقتها أنَّه من المستحيل تنظيف الجرح كاملاً، إلَّا أنَّ براعة الدكتور وارل عالجت الموقف الصعب»[٣٢]. إنَّ تلك الحادثة تُعطي لنا صورةً عن ما كان يُعانيه المجتمع العراقي من صعوبة الحياة التي دفعت فتى بعمر خمسة عشر سنة للعمل في الموانئ، وبنفس الوقت تُبيِّن لنا مدى تعاطف مستوصف البصرة مع الحالات الحرجة.

أصبح للدكتور (وارل) سمعةً كبيرة بين أهالي البصرة؛ وذلك لاستمرارهِ بالعمل في المستوصف، فرغم سفرهِ إلى بلادهِ للراحة، إلَّا أنَّه كان يلبث قليلاً في الولايات المتحدة الأمريكية ويعود للعمل في البصرة، وإنَّ السمعة التي اكتسبها جعلت الأهالي يثقون بهِ، بل حتَّى أنَّ شيوخ البصرة أصبحوا يرتادون المستوصف، وذكرت زوجته في تقريرها أنَّ الدكتور عالج شيخ بقريةٍ قريبة من النهر، وقتها شعر أهل القرية بأهمية العلاج في المستوصف، وعند الدكتور (وارل) بشكلٍ خاص. لكن لم يكن الناس يذهبون مباشرةً إلى المستوصف عند تعرضهم لمرضٍ ما، فقد كان أغلب الناس لا يزالون يفضلون الطب المحلي، وعند تفاقم أمراضهم وعجز الطب المحلي عن علاجهم يتوجهون للمُستوصف، وذكرت السيدة (وارل) ذلك الأمر في إحدى تقاريرها، قائلةً: «جاءت إلينا مجموعة من المرضى يعانون من نخرٍ في عظام الفك؛ بسبب علاجٍ سيء أُعطي لهم من قبل أطباء أسنان محليين في البصرة. وتأتي إلى المستوصف حالات أمراض عيون، ولكن معظمها تأتي بعد فوات الأوان، ويصعب علاجها، أو أننا لا نستطيع القيام بشيءٍ لها، لكننا كنا قادرين على معالجة الحالة لو أنَّ المريض قد راجع المستوصف قبل تفاقمها»[٣٣]، ما يبدو أنَّ المستوصف كان يُعاني من جرَّاء جهل الناس.

قدَّم المستوصف خدماتٍ كبيرة لأصحاب مرض الجُذام الذين كانوا لا يجدون مَن يعالجهم أو يرعاهم، فقد خصَّص المستوصف مكاناً صغيراً لمرضى الجُذام، وسعى للسيطرة على مرض الحمَّى الموسمية التي تُصيب الناس عند قدوم الشتاء، وسُجِّل عام ١٩٠٣م موسماً معدياً بالحمَّى، وقد ذكرت السيدة (وارل) بتقريرها ما يأتي: «تأتي غالباً حالاتٍ كثيرة لمرضى الحمَّى، وبالنسبة للبصرة فإنَّ فيها حالات حمَّى أكثر من المعتاد هذا العام، بل حتَّى أعضاء الإرسالية أُصيبوا بهذا المرض وأصبحوا يتقاسمونه مع أهل البصرة. ورغم هذهِ الحمَّى اللعينة فإنَّ موظَّفي الإرسالية، سواءٌ كانوا مرضى أو أصحاء، فإنَّهم يواصلون عملهم كالمعتاد»[٣٤]. ولا بدَّ من التعليق على هذا الكلام، فخلال قراءتنا للتقرير نراه خالياً من أيِّ إشارةٍ لأهدافٍ تبشيرية، ويبدو أنَّ السيدة (وارل) التي تطوعت للعمل مع زوجها كممرضةٍ في

المستوصف بهدف استمالة النساء للدين المسيحي، يبدو أنَّها قد بدأت بالتخلِّي عن فكرتها وهدفها شيئاً فشيئاً، فأصبحت تركِّز على عملها الإنساني بشكلٍ كبير، كما يبدو أنَّ الأطباء الزاخرين العاملين في المستوصف قد تناسوا هدفهم التبشيري وأصبحوا مستعدين للموت في سبيل تخليص الناس من وباءٍ محتمل بسبب الحمى (التي ربما تؤدي إلى الحصبة بأنواعها)، وتعرضوا للمرض نتيجة احتكاكهم الشديد بالمرضى.

بعد تقدم المستوصف وزيادة ثقة الأهالي في الأطباء وفي الخدمات الجيدة التي قدَّمها المستوصف، بدأ عمله بالتطور، فقد أُجريت في هذا المستوصف الصغير العمليات الأولى لإزالة الحصى من الكلى، وتمَّ شفاء أغلب المرضى الذين أجروا عملياتٍ لإزالة الحصى. بل إنَّ التقدم الكبير للمُستوصف يتَّضح من خلال ثقة الأطباء بأنَّهم لن يحتاجوا إلى دعمٍ مادي في السنة المقبلة من الولايات المتحدة الأمريكية[٣٥] أو من كنائسها، وذلك من خلال الاعتماد على ما يقدمه أغنياء البصرة من مساعداتٍ مالية، وكذلك الاعتماد على الرسوم القليلة التي يدفعها المرضى عند مراجعتهم للمُستوصف.

مستوصف البصرة يُجري أول عملية لرفع ثدي امرأة مصابة بالسرطان سنة ١٩٠٣م

أجرى الدكتور (وارل) أول عملية رفع ثدي في مستوصف البصرة، وهي أول عملية من نوعها في العراق وربما في البلاد العربية، وفيما يلي تقرير الدكتور (وارل) لهذهِ العملية التي وصفها بأنَّها مثيرة للاهتمام، قائلاً: «كانت لدينا عملية مثيرة للاهتمام للغاية منذ كتابة تقريرنا الأخير. ففي نيسان الماضي قمنا بإزالة الثدي الأيسر لإحدى النساء التي كانت تُعاني من آلامٍ شديدة منه نتيجة قرحة خبيثة مفتوحة فيه، وبعد إجراء العملية اكتشفنا وجود حصى صغيرة من الأنسجة السرطانية تحت الذراع وتمَّت إزالتها، وتمَّ تنظيف الجرح، ووضعت المريضة في السرير. وتوقعنا أنْ لا تعيش أكثر من (٢٤) ساعة، لكن مع العناية المركَّزة بقيت على قيد الحياة، فقد حصلنا على ممرضةٍ للمريضة، والتي بقيت بالمستوصف لمدَّة ستة أسابيع»[٣٦]. إنَّ إجراء عملية رفع الثدي المصاب بالسرطان تُعد عمليةً ليست بالصعبة في أيامنا هذهِ، كما أنَّ المجتمع أصبح يعرف مرض السرطان، وأصبح أكثر تقبلاً لعمليات رفع الثدي، لكن إجراء هكذا عملية في عام ١٩٠٣م يُعد أمر نادر وغريب، وعلينا أنْ نأخذ بالاعتبار موضوعين مهمين، الأول هو إجراء عملية رفع الثدي في مستوصف صغير لا تتجاوز مساحته الكُلِّية (٣٠٠) متر في أحسن الأحوال، مكوَّن من طابقٍ واحد، وفيه خمس غرف فقط! فهذا الأمر يُعتبر معجزة طبية، والأمر الثاني هو إجراء العملية في البصرة المدينة الأكثر تحفظاً في العراق، والتي كانت ترزح تحت التخلف والجهل من النواحي كافَّة، لاسيَّما من النواحي الاجتماعية، فمن الصعب تقبل فكرة رفع ثدي مريضة بالسرطان، كما أنَّ الأهالي لم يكونوا يعرفون ما هو مرض السرطان في ذلك الوقت، واستطاع الدكتور (وارل) إقناع ذوي المريضة بإجراء العملية، وهذا يدل على ثقة الأهالي بالدكتور (وارل)، ويدل أيضاً على القدرة العالية التي امتلكها الطبيب في إقناع الناس.

كان من الطبيعي مع التقدم الكبير الذي شَهِده المستوصف تزايد أعداد المراجعين، فقد وصف

المستوصف سنة ١٩٠٣م بأنَّه مزدحم جداً، والتقرير التالي يُبيِّن حجم الأعداد الغفيرة التي راجعت المستوصف: «لا يوجد مكان يستوعب العدد الكبير من المراجعين. كان يراجعني حوالي (٤٥) مريضاً باليوم. عالجنا (٥٥٣٠) حالة. في الشهرين الماضيين أصبح معدل المراجعات ما بين (٥٠-٦٠) يومياً، وبعض الأحيان يصل إلى (٧٠) مريض يومياً»[٣٧]. إذا أجرينا معادلة قسمة صغيرة وفرضنا أنَّ الطبيب يُجري فحصاً لمدَّة (١٥) دقيقة مع كلِّ مريض، سنجد أنَّ المستوصف كانت تعمل لمدَّة سبعة عشر ساعة ونصف في اليوم![٣٨]، والآن دعونا نتخيل حجم التعب الذي كان يتعرض له أطباء المستوصف في البصرة. ومع كلِّ هذا لم تكن المستوصف وحدها قادرةً على الصمود أمام الأوبئة والكوارث الطبيعية؛ لأنَّها بالتأكيد لم تكن مهيَّأةً لمثل تلك الأوبئة، ومنها ما حدث مع وباء الكوليرا لسنة ١٩٠٤م، وفي التقرير الذي كتبه المبجَّل بارني Rev. F. J. Barny ما يؤكِّد ذلك، إذ جاء فيه: «الكوليرا تهددنا في البصرة منذ ثلاثة أشهر، لم يهدأ عنفها حتَّى الآن، معدل الوفاة يومياً خمس أشخاص، ومع اقتراب الطقس الحار فإنَّ احتمالات تزايد حالات الكوليرا واردة جداً، لكن ثقتنا في الله كبيرة لوقف بلاء الطَّاعون»[٣٩]. هنا لم يكن أمام المستوصف والعاملين بهِ سوى التضرع لله (ﷻ) لإيقاف هذا البلاء.

افتتاح العيادة النسائية في البصرة سنة ١٩٠٤م

قبل عام ١٨٩٥م قدَّم كلٌّ من الدكتور (ريجز) والدكتور (ويكوف) أعمال طبية للنساء في البصرة، لكن أولئك الأطباء كانت خدمتهم قصيرة في البصرة، ولا يمكن إعطاء فكرة تامَّة عن ما قدَّموه من خدماتٍ طبية للنساء هناك، سواءٌ أكان ما قدَّموه كبيراً أم قليلاً[٤٠]. بدأ الدكتور (وارل) عمله في مستوصف البصرة منذ عام ١٨٩٥م، في البداية جاءت بعض النساء للعلاج وكُنَّ يجلبن أطفالهنَّ معهن، وفي تلك الأيام الأولى قدَّم الدكتور (وارل) بعض العمليات للذين هم بحاجةٍ ماسَّة للعملية. في عام ١٩٠٤م تمَّ تعيين الدكتورة (وارل) لتكون طبيبةً خاصة بالنساء في مستوصف البصرة، بدأت العمل في غرفةٍ في الطابق الأرضي من مسكن البعثة، وكان العمل في العيادة الخارجية للنساء مصحوب بنوع من الخطورة، لاسيَّما النساء الذين كان يتم إجراء عملياتٍ لهنَّ، فكُنَّ مضطراتٍ للمبيت في المستوصف، وكانت السلطات التركية لا تسمح بذلك، فكان الدكتور (وارل) يجعل بعض النساء يبتن في منزلهِ المجاور للمُستوصف[٤١].

بدأ العمل في العيادة النسائية بشكلٍ منتظم في نهاية شهر شباط تقريباً من سنة ١٩٠٤م، وفي البداية كانت أعداد المراجعين قليلة، لكن الأعداد ارتفعت بشكلٍ تدريجي في تموز وآب حتَّى وصل عدد المراجعين في اليوم إلى أربعين واحد. ورغم النجاح الكبير الذي لاقاه العمل الطبي النسائي في البصرة إلَّا أنَّ المستوصف واجه صعوباتٍ كثيرة، وأهم تلك الصعوبات أنَّ العيادة النسائية كانت غرفة واحدة من المستوصف، وهي طبعاً غير كافية للقيام بكلِّ المهمات والخدمات، كما أنَّها لا تكفي لتردد النساء في وقت ما بين فترة إغلاق العيادة للصلاة وساعة الغداء[٤٢].

كانت الطبيبة (وارل) هي مسؤولة العيادة النسائية، وكانت دقيقةً في عملها ومنظَّمة جداً، فقد جعلت بطاقاتٍ شخصية لمريضاتها من النساء حتَّى تعرف الحالة المرضية عند المراجعة لمرةٍ

أخـرى، وبهـذا الصدد كتبت قائلةً: «وبخصوص المعالجة في عيادة النسـاء، فقد كنـا في البداية نُحدد تاريخ كلِّ حالـةٍ مرضية لوحدهـا، وحيث أنَّه لم تكن توجد لدينا بطاقاتٍ خاصة وعمليـة فقد قمنا بشراء أوراقٍ رخيصة ثـمَّ قام المسـتوصف بتنظيم هذهِ البطاقات حسـب التصنيـف الأبجدي للمرضى والمترددين وتاريخ حالاتهم المرضية. لكن هذا مع الوقت أصبح شيئاً مرهقاً بالنسبة لنا كأطباء ومرضى، ولذلك قمنا بإنشاء نظام البطاقات الصحية، ورحنا نسجل فقط الملاحظات على الحالات والعلاج على تلك البطاقات»[٤٣].

لم تكن الطبيبة (وارل) تعمل وحدها في العيادة النسائية، فقد كانت هناك ممرضة عراقية تساعدها في العمل، اسمها (جميلة)، وقد وصفتها الطبيبة بأنَّها: «مساعدتي القوية في العيادة النسائية، وبالحقيقة إنَّها توفر عليَّ الكثير مـن العناء، ورغـم جهودها إلَّا أنَّ الكثير من متطلَّبات التمريض والعنايـة بالمرضى وتدبير طعامهم كنت أقوم بهِ لوحدي». وبسـبب عدم وجود ممرضات عراقيات كفوءات ومتدربات أو خريجات كلِّيات التمريض، فقد قرر أطباء المستوصف خلال رحلتهم إلى الهند في الإجازة، استثمار الإجازة في البحث عن ممرضةٍ هندية كفوءة للعمل في العيادة النسـائية. وهنا قالت الدكتورة (وارل): «وبالفعل استجاب ربي لصلواتي في الهند، وحصلت على ممرضةٍ هندية مسيحية، وإنَّها كانت بارعة في عملها في المستوصف. وفي شهر أكتوبر الماضي كان المستوصف غاصَّاً بالمريضات، بل لم يكن هناك مكان للمزيد»[٤٤].

جدول رقم (٢)

ملخص العلاجات المقدَّمة في مستوصف البصرة للنساء، كانون الثاني – آذار ١٩٠٥م[٤٥]

مجموع الخدمات العلاجية	٣٩٧٤	النساء	٣٠٩٠
المسلمين المعالجين	٢٦٤٢	الفتيات	٥٢٩
المسيحيين	٩٤٢	أطفال	٣٧٥
اليهود	٣٣٦		
الزيارات الخارجية	٧٥		
العمليات الجراحية	٦١		

أصبحـت الظـروف في البـصرة أكثـر ملائمةً للعمـل، دكتـور (وارل) وزوجتهِ كانـوا يُقيمون في مـكانٍ مجاور للمُستشـفى، فقد سـجل عـام ١٩٠٥م دخول (١٧،٠٠٠) سـبعة عشر ألف حالة للمُستشـفى، واسـتطاعت السـيدة (وارل) Mrs. Worrall القيـام بجولـةٍ في الأهوار المجـاورة للبصرة، وتُعد أول امـرأةٍ بيضاء تخرج إلى ريـف البصرة، التـي وصفتها بـ(منطقة المعدان) Maadan tribes. حيث كانت الأحوال الصحية سـيئةً للغاية[٤٦].

بعد سـفر الدكتـور (وارل) في عام ١٩٠٧م للولايات المتحدة الأمريكيـة للراحة، وصل إلى البصرة بنفس التاريـخ الدكتـور آرثـر بينـت Dr. Arthur K. Bennett، وعَمِـل عـلى توسـيع العمـل الطبـي إلى خارج مدينـة البصرة، فقد ذهب إلى القبائل السـاكنة شـمال وشرق البصرة[٤٧]. قام الدكتور آرثـر بنيت وبعض رفاقهِ

بجولةٍ طبية في جنوب العراق على نهر الفرات، مستخدمين سفينةً بخارية في تنقلاتهم لمعالجة الحالات بين القبائل، وكان الناس يتجمعون قبل وصول السفينة وقد سمعوا بأنَّ تلك السفينة تحمل طبيب أو (حكيم) كما كان الناس يصفون الطبيب آنذاك، وكما ذكر الدكتور (بينت) في تقريرهِ: «توقفنا في الحي[٤٨] لمدَّة ثلاثة أيام وزارنا العديد من المرضى، ثمَّ انتقلنا إلى الشطرة[٤٩] وأيضاً وجدنا الناس يجتمعون علينا للفحص. كان العمل الطبي مريح للغاية ورائع جداً، وأتمنى أنْ ينفعنا هذا العمل بالمستقبل خاصةً بين القبائل. عالجنا قرابة (٤٥٧)»[٥٠]. ويبدو أنَّ الدكتور (بينت) استطاع ترك المستوصف بالبصرة والتحرك خارجها بعد وصول عددٍ من العاملين في المجال الطبي، فقد نُقلت السيدة فوغل Mrs. Vogel من البحرين إلى البصرة للعمل في قسم المرأة، وكانت لها خبرة بالعمل الجراحي أيضاً، فضلاً عن وجود الدكتورة (وارل) والممرضة سكاردفيلد Miss. Scardefield التي كانت تعمل مع السيدة (وارل). في العام التالي تمَّ تعيين الدكتور (بينت) رئيساً لمستوصف البصرة[٥١].

بناء مستشفى لانسنغ التذكاري

Hospital Lansing Memorial

لمس الأطباء المُعينون في الإرسالية الأمريكية في البصرة حاجة المدينة لمستشفىً متكامل يتم من خلالهِ توفير العلاج للمرضى ورعايتهم بشكلٍ جيد من خلال توفير أسرة للراقدين فيه، وكذلك صالة عمليات، كما أنَّ السمعة الطيبة التي حَضِيَ بها الأطباء الأمريكيون جعلت أهالي المدينة وضواحيها والأقاليم التي بجانبها مثل العمارة والناصرية يتوافدون إلى المستوصف الصغير في البصرة، وبالتالي أصبحت أعداد المراجعين كبيرة جداً ولا يمكن لمستوصفٍ صغير أنْ يُعالج جميع مَن يأتوه. فضلاً عن حاجة المستوصف إلى أماكن وغرف يتم فيها عزل النساء عن الرجال؛ لذلك دعا الدكتور (وارل) منذ عام ١٨٩٦م إلى إنشاء مستشفى في البصرة، إذ جاء في إحدى تقاريرهِ: «حلمنا بمُستشفى، لقد تحقَّقت الأحلام في الماضي، لماذا لا تتحقَّق في المستقبل؟ نحن نتكئ بشكلٍ كبير على قوةٍ كبيرة لتحقيق كلِّ الأمور الضرورية»[٥٢].

كانت البعثة الطبية في البداية تعتمد على تأجير المنازل ولم يكن ذلك الأمر صعباً، لكن الإرسالية لم تتمكَّن من الإقامة طويلاً في منزلٍ واحد، فقد تنقَّلت بين عدَّة منازل مختلفة، وكان هذا الأمر صعباً بالنسبة للبعثة الطبية، وسبب تأجير المنازل كان شراء الأرض في هذهِ الفترة غالياً، كما أنَّ القانون العثماني في ذلك الوقت لم يكن يسمح لأيِّ شخصٍ أجنبي بالتملك باسمهِ، وقد ذكر الدكتور (آرثر بينت) بأنَّ العمل الطبي مع الإيجار أصبح صعباً؛ لأنَّ الإيجار بدأ يزداد ويصبح باهظاً، إذ أصبح يُكلِّف (٤٥٠) دولار سنوياً، كما أنَّ عمل الطبيب في منزلٍ مستأجر لا يضمن له وضع قانوني جيد، إذ إنَّه لا يجوز له ممارسة أيِّ مهنةٍ إذا لم يمتلك أرض أو بيت باسمهِ، لذا كان الأطباء معرضين للمُساءلة القانونية من الجانب التركي، على الرغم من أنَّ الأتراك نادراً ما منعوا الأطباء الأمريكيين من إجراء عملياتٍ في المنازل المستأجرة، وأنَّ ذلك الأمر كان يعتمد على أسلوب الأطباء الأمريكيين وحُسن معاملتهم للمسؤولين الأتراك كما كان يفعل الدكتور (وارل)[٥٣].

تمَّ حلِّ المشكلة بشكلٍ كبير بعد تقديم مبلغاً من

قبل الكنيسة، لاسيَّما بعد جهود (زويمر) الكبيرة، مستغلاً التغيير الحاصل في نظام الدولة العثمانية بعد قيام انقلاب الاتحاديين سنة ١٩٠٨م، فقد تمَّ تغيير القوانين وسمح للإرسالية بشراء أرض مع تسجيلٍ آمن باسم الإرسالية. التي استطاعت شراء أرضٍ مساحتها أربعة ايكر، بمبلغ (٤٦٢٠) دولار. بعد الشراء تمَّ توسيع قطعة الأرض إلى ستة ايكر من خلال الرسوم الطبية، كما أنَّ الأرض تمَّ شراؤها في مركز مدينة البصرة (في منطقة العشَّار تحديداً) وقد زادت قيمة الأرض فيما بعد[٥٤]. وفي عام ١٩٠٨م حصلت الإرسالية على منحةٍ مالية جديدة، فقد تبرَّعت السيدة سوزان يتس لانسنغ Miss. Susan Yates Lansing (١٨١٦-١٩١١م) بمبلغ ستة آلاف دولار لبناء المستشفى، ومن خلال مساعدة مجلس المبشِّرين الأمريكيين American Board missionaries، وبعد مفاوضاتٍ طويلة مع الحكومة العثمانية تمكَّن الدكتور (بينت) بعد رحلتهِ إلى القسطنطينية من الحصول على موافقةٍ لبناء مستشفى (لانسنغ التذكاري) في الأرض التي حصلوا عليها[٥٥].

تمَّ وضع حجر الأساس لمستشفى لانسنغ التذكاري في الثالث من آذار ١٩١٠م. وقد شارك في مراسيم وضع حجر الأساس والي البصرة وعددٍ من القادة العسكريين الأتراك، وكذلك وجهاء مدينة البصرة. اكتمل بناء المستشفى عام ١٩١١م[٥٦]، وحصلت الإرسالية على استشاراتٍ معمارية من مشروع ميشيغان للصناعات الطبية. كما أنَّ الحملة السنوية وسط طلَّاب وجامعيين وخريجين من جامعة ميشيغان University of Michigan أدت إلى منافع مهمة للعمل الطبي في البصرة، ونجاح العديد من العمليات في البصرة.

فقد زادت أهمية البصرة بين طلَّاب الجامعة الذين اعتبروها كرسالةٍ للجامعة وجعلوا من ضمن مسؤولياتهم تحمل العديد من المصاريف لإنجاح العمليات الجراحية في البصرة[٥٧].

كانت الأسِرَّة التي تمَّ وضعها في مستشفى لانسنغ قد تمَّ صنعها من الحديد الأصلي في بومباي، وتمَّ جلبها إلى البصرة، وصُبغت باللون الأبيض، وكذلك كانت الطاولات والخزانات باللون الأبيض. وقد ارتاح المرضى المراجعين للمُستشفى لاسيَّما بعد افتتاحها. لكن لسوء الحظ حدثت كوليرا في الصيف فأبقت الطاقم الطبي مشغولاً جداً لمعالجة الوباء. وفي عام ١٩١١م بدأت جامعة ميشيغان عملها في البصرة، وتمَّ تعيين السيدة (بينت) مسؤولةً عن العمل الطبي الخاص بالنساء في المستشفى. وتمَّ تعيين ممرضة جديدة أيضاً متخرجة من جامعة ميشيغان، هي Miss. Holzhauser، وكذلك ممرضة هندية أخرى. أصبح بإمكان المرضى الحصول على أفضل تمريضٍ موجود. ويبدو أنَّ المستشفى قد نالت شهرةً كبيرة في الأرجاء حسبما تذكره السيدة (وارل) في تقريرها، أنَّ هناك عدد كبير من النساء التركيات والفارسيات كُنَّ يأتين إلى المستشفى[٥٨]. وصل عدد المراجعين من النساء في العام الأول لافتتاح مستشفى لانسنغ أكثر من ثلاثة وتسعين، وقد بلغ عدد النساء الذين تلقَّوا العلاج في مستشفى لانسنغ في سنة ١٩١١م إلى سبعة آلاف واحدة. في نفس الوقت كان الطبيبات والأطباء يقومون بزياراتٍ خارجية للمريضات الذين لا يستطيعون القدوم إلى المستوصف ويذهبون إلى بيوتهنَّ[٥٩].

تُظهر التقارير الطبية لعام ١٩١٠م أنَّ الدكتور (وارل) وزوجتهِ قد عالجوا عدد كبير جداً من

المرضى في المستوصف، من بينهم عشرين امرأة يرقدن بسبب إجراء عملياتٍ جراحية لهنَّ. وبالنسبة للنساء فإنَّ غالبية المراجعات كُنَّ من المسلمات. العمليات كان يختلف مستواها من العمليات الطفيفة إلى العمليات الشديدة الخطورة، بالنسبة لعمليات النساء كانت أعلى نسبة عمليات هي لحالات الولادة. أغلب المراجعين للمُستشفى كانوا من سكَّان مدينة البصرة وأطرافها ومن المُحمَّرة وأبي الخصيب. أمَّا عن الزيارات الخارجية التي قام بها الأطباء للمرضى في بيوتهم فقد كانت رجال، وللنساء أغلبها قامت بها الدكتورة (وارل)[٦٠]. وفي البداية لم تكن المستشفى تُحصي ما تدفعه النساء، ولكن بعد انتظام عمل الجناح النسائي الخاص اعتباراً من كانون الثاني ١٩١١م، بدأ إحصاء دخل المستشفى فكان (٥٠٠) دولار كلَّ سنة[٦١].

جدول رقم (٣)

يوضح أعداد المرضى في مستشفى لانسنغ وتصنيفهم حسب الجنس والدين[٦٢]

عدد المراجعين الكلي	رجال	نساء	مسلمين	مسيحيين	يهود	عمليات جراحية	حالات عيون
١٣٢١٧	٧٠٦٨	٥٨٤٥	٤٧١٥	١٠٧٤	١٢٧٩	١٠٩٣	١٩٠٣
الزيارات الخارجية	٣٠٠	١٧٥					
مبيت في المستشفى لإكمال العلاج	٨٣	٥٠					

بعد توسع عمل المستشفى، قامت عام ١٩١٢م بتخصيص جزء من خدماتها الطبية للعناية بمرض الجُذام، وقد كان عدد هؤلاء كبيراً نسبياً، وأطباء الإرسالية واجهوا صعوبةً في محاولة عزل الأصحاء عن المرضى لمنع العدوى، إلَّا أنَّ عامة الناس نتيجة الجهل لم يكونوا يأبهون بالمرض إلى أنْ يستفحل ويصبح علاجه عسيراً. وكان بعض المجذومين يختلطون بالناس ولسنواتٍ عديدة، دون أنْ يُشتبه بأنَّ لذلك خطراً يؤدي إلى انتشار هذا الوباء[٦٣].

مستشفى لانسنغ التذكاري وخدماتها خلال سنوات الحرب العالمية الأولى

استمرت المستشفى بعملها في البصرة خلال الحرب العالمية الأولى، وقدَّمت خدماتٍ كبيرة من خلال رعاية الجرحى والأسرى في الحرب؛ لذلك قدَّمت حكومة الهند البريطانية منحةً كبيرة للمُستشفى (١٠٠٠٠) روبية، أي ما يُعادل في ذلك الوقت (٣٣٣٠) دولار. استقبلت المستشفى العديد من الجرحى جرَّاء المعارك القاسية، وما أنْ تمَّ شفاء الجرحى حتَّى امتلأت المستشفى مرةً أخرى بجرحى آخرين كان أغلبهم من الأتراك والعرب[٦٤]. لم يتأثر العمل الطبي في البصرة عند اندلاع الحرب سنة ١٩١٤م واستمر العمل بمُستشفى لانسنغ في بداية الحرب[٦٥]، وعندما أعلنت تركيا دخولها في الحرب دُعي الدكتور (بينت) من قبل السلطات التركية لحثِهِ على استقبال الجرحى من الأتراك، ووافق الدكتور (بينت) على الأمر، وازدادت حالات الجرحى

الأتراك مع تقدم القوات البريطانية[٦٦].

جدول رقم (٤)

المراجعين لسنة ١٩١٤م

		رجال	نساء
عدد المراجعين	١٣٢١٧	٧٠٦٨	٥٨٤٥
عدد الراقدين في المستشفى	١٣٣	٨٣	٥٠

عدد المرضى الذين راجعوا المستشفى بالبصرة لعام ١٩١٥م بشكلٍ دوري، كان (٥٨٢)، أمَّا عدد المرضى الذين خضعوا لعملياتٍ جراحية فهو (٣٤٠). وفي العيادات الخارجية حصل (٩١٢٩) مريض على علاج، وبالتالي فإنَّ المجموع الكُلِّي للمرضى الذين حصلوا على علاج هو (٢٠٠١٣)، ثمانين بالمائة منهم تمَّ علاجه بالمجَّان. وقد ورد في إحدى تقارير المستشفى لعام ١٩١٥م، ما نصه: «المستشفى خلال هذا العام امتلأ بالمرضى بشكلٍ كبير، وعملنا خلال (١٢) شهر بشكلٍ كامل، وعدد المرضى ازداد بشكلٍ لم يسبق له مثيل في تاريخ بعثتنا الطبية»[٦٧].

تمَّ إغلاق المستشفى بشكلٍ مؤقت سنة ١٩١٧م، وقد عَمِل فيها العديد من الأطباء المبشرين لسنواتٍ طويلة لكنها أصبحت فارغة تماماً خلال عام ١٩١٨م. وقد علَّق أحد أطباء المستشفى على إيقاف عمل المستشفى، معلِّلاً ذلك بقولهِ: «علينا العمل لتوسيع تلك المستشفى، والعمل لإضافة طبٍّ عربي في المستشفى ليكون قاعدةً لنا. إنَّ المستشفى لا يمكن أنْ تعمل بدون وجود طبيب فيها[٦٨]. وسبب غلق المستشفى هو نقص الأطباء. ففي عام ١٩١٢م توفي الدكتور ثورنس Dr. Thorns نتيجة تعرضهِ لحادث، ولم يتم تعويضه بطبيبٍ آخر. في عام ١٩١٦م فقدنا الدكتورة بينت Mrs. Bennett, M. D. from typhus المتخصصة في التيفوس، واحتمال كبير أنْ نخسر زوجها الدكتور أ. ك. بينت Dr. A. K. Bennett الذي يرقد الآن في إجازةٍ مرضية في البيت، وكذلك لم يعد حتَّى الآن الدكتور وارل Worrall، المريض أيضاً»[٦٩]. إضافةً إلى ما ذكرناه آنفاً، فإنَّ من جملة أسباب غلق مستشفى لانسنغ كان افتتاح المستشفى البريطاني العام في البصرة سنة ١٩١٧م، حينها قررت الإرسالية الأمريكية تحويل مبنى المستشفى إلى سكنٍ خاص (مهجع) لطلَّاب مدرسة هاي هوب High Hope ، وانتقل الكادر الطبي للعمل في العمارة[٧٠].

الخاتمة:

قدَّم العاملون في مستوصف البصرة الطبي خدماتٍ كبيرة وجليلة لأهالي المنطقة، ولم يدَّخروا وقتاً أو جهداً أو مالاً في تقديم ما يمكنهم من مساعدة في سبيل تحقيق أكبر نسبة شفاء ممكنة للمرضى. وقد تحدَّى أولئك الأطباء ظروف عديدة في سبيل إنجاح مهمتهم الإنسانية. وكان من أبرز تلك الظروف هو ترك بلادهم وقطع آلاف الأميال للوصول إلى مدينةٍ بعيدة جداً تقع في الطرف الثاني من عالمهم، دفعهم حماسهم الديني لنشر الدين المسيحي بين أبناء تلك المناطق.

كان الهدف الأساس لقدوم الأطباء والممرضين للعمل الطبي هو نشر الدين المسيحي، لكن ومن خلال بحثنا المتواضع هذا وجدنا أنَّ ذلك الهدف قد غاب وتعطَّل، فبمجرَّد

وصـول الأطبـاء إلى البـصرة ورؤيتهـم لأوضـاع النـاس الاجتماعيـة والاقتصاديـة، ومـا كانـوا يعانونـه مـن الفقـر الشـديد والحرمـان الكبير من أبسـط مقومـات الحياة، كانـوا في الغالب ينسـون أهدافهـم التبشـيرية ويندمجـون في ذلـك المجتمع البائس، ويحاولون تقديم كلَّ ما يمكنهم في سـبيل معالجـة هـؤلاء النـاس، بـدون أنْ يقصـوا عليهم حكاية السـيد المسـيح أو يطلبون منهم الاستنجاد بهِ والاتكال عليه، فلم نسـمع مـن خلال التقارير التـي كتبها أغلب الأطباء أنَّ طبيباً ما قد قرأ شـيئاً مـن الإنجيـل أمام مرضـاه، أو أنَّ طبيبـاً قد طلب من مريضٍ يُراد شفائه أنْ يأخذ شيئاً من الإنجيل.

لقـد اندمج الأطباء في عالمٍ إنسـانيٍّ خالص بعيد كلَّ البُعـد عن الأمور الأخرى، فأصبح هم الطبيب كيفية علاج أكبر قدرٍ ممكن من المرضى. أصبح الهدف الأسـاس كيفية المسـاعدة في توفير الدواء، وتناسى هؤلاء الأطباء شـيئاً فشيئاً سـبب قدومهم للبصرة، فلـم يعـودوا يهتمـون بنـشر الإنجيل بـل أصبحت المسـألة الدينيـة آخر اهتمامهم. فـترى الطبيب يفرح عند إزالة تورم ثدي مريضة بالسرطان، ويسعد كثيراً حينما يستطيع المسـاعدة في التئام جرح عاملٍ صغير في الميناء، بل نجدهم قد تفانـوا في تقديم الخدمات الطبية خلال مواسم الحمَّى الكبيرة التي كانت تنتشر في البـصرة، وخـلال مواسـم الأوبئـة هـذهِ أُصيب الكثـير مـن الأطبـاء بالحمَّـى، فلـم يكونـوا يأبهون بالتعـرض إلى الحمَّى التي ربما تودي بحياتهم. وهذا العمل الـذي قدَّمه الأطباء العاملين في مسـتوصف البصرة، والمستشـفى فيما بعد، كان أكبر عملٍ إنساني يقدمه أمريكيين إلى مجتمعٍ بحاجةٍ ماسة إلى الخدمات الطبية.

الهوامش:

(١) الإرسـالية الأمريكيـة العربيـة: هـي إرسـالية أمريكيـة بروتسـتانتية ذات أهـدافٍ تبشـيرية في منطقـة الخليـج العـربي. قـام الدكتـور لانسـنجLansing وثلاثـةٍ من مسـاعديه، هـم: جيمـس كانتـينJames Contine ، وصموئيـل زويمـر Samuel Zwemer، وفيليـب فيليبـس Philip Phelps بتشـكيل هـذهِ الإرسـالية. والدكتـور لانسـنج كان أسـتاذاً للغـة العربيـة في معهد اللاهـوت في نيـو برونزويـك New Brunswick في ولايـة نيوجيرسي الأمريكية، وكان اسـم الإرسـالية الأصلي هـو (العجلة) The Well. وقد أطلق الدكتور لانسـنج ومسـاعدوه الثلاثة هذا الاسـم عليهـا، ولكنه اضطر لتغيـيرهِ إلى الإرسـالية الأجنبية (التابعة لكنيسـة الإصـلاح الهولنديـة في أمريكا) للسـماح بالقيـام بعمل تبشـيري في البـلاد الناطقـة باللغـة العربيـة. بعـد إتمـام الأمـور توجهـت الإرسـالية نحـو بيروت، ومـن هناك انطلقـت للبـصرة، لتُقيـم أول محطـةٍ تبشـيرية لهـا عـام ١٨٩١م. اسـتطاعت الإرسـالية بناء مدرسـةٍ للبنات في البصرة، وبنو مسـكناً لأعضاء الإرسالية في مكانٍ قريب مـن المدرسـة، وانشـأوا مكتبةً داخـل مدرسـة البنين في منطقة العشَّـار في البصرة. وقد لقوا مسـاعدةً من السيد دايكسـترDykstra ، وهـو أحـد أعضـاء الإرسـالية، وكانـت لديـه خبرة في اختيـار الأماكـن وفي البناء، وقد تمَّ الانتهاء من مشروعات الإرسالية سنة ١٩٣٠م. عبد المالك خلف التميمي، **التبشير في منطقة الخليج العربي.. دراسـة في التاريـخ الاجتماعـي والسـياسي**، (الإمـارات العربية المتحدة: ٢٠٠٠م)، ص٢٠-٤٨.

(٢) لم يكـن يوجـد في العـراق كلَّه سـوى عشر أطباء وسـت صيادلـة، حتَّى عـام ١٩١٤م. جعفـر عبد الدائـم بنيان المنصـور، **التاريخ الصحـي لمدينة البـصرة أواخر العهد العثماني حتَّى ١٩٣٩م**، (بيروت: ٢٠١٧م)، ص٥٥.

(٣) عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص٨٢.

(٤) عبـد الحكيـم عجيـل عبـد الـرزاق السـعدون، **البـصرة في النصـف الثـاني مـن القـرن الثامـن عشر.. دراسـة في الأوضـاع السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية**، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، كليـة الآداب، جامعة البصرة، ١٩٨٩م، ص١.

(٥) عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص٨٦-٨٧.

(6) Rev. Alfred DeWitt Mason, D. D., Rev. Frederick J. Barny, M. A., *History of the Arabian Mission*, New York, 1926, p.72.

(7) Ibid., p.72.

(8) Lewis R. Scudder III, *The Arabian*

Missions story, In: Search of Abrahams Other Son. The historical series of the reformed church I America, No. 30, USA., 1998, p.160.

(9) *Quarterly Report of the Arabian Mission*, January, 1st. to April 1, 1892.

(10) Ibid.

(11) *Neglected Arabia*, July–September, 1913, No. 86, p.5.

(12) *Arabia Calling*, Vol.9, (January–March) 1894, p.3; and Vol.13, (January–March) 1895, p.6.

(١٣) التميمي، مرجع سابق، ص٨٦-٨٧.

(14) Rev. Alfred DeWitt Mason, D. D., Rev. Frederick J. Barny, Op. Cit., p.87.

(15) *The Arabian Mission*, New York, April 1 to June 30, 1895, No.14, p.7.

(16) Ibid., p.7.

(17) *The Arabian Mission*, No.17, (January–March) 1896, Pp.4-5.

(١٨) التميمي، مرجع سابق، ص٨٧-٩٠.

(19) *The Arabian Mission*, No.17, (April-June) 1896, Pp.5-6.

(20) Ibid., p.6.

(21) Ibid., p.6.

(٢٢) التميمي، مرجع سابق، ص٩١.

(23) *Neglected Arabia*, July to September / 1900, No.35, p.5.

(24) Ibid., p.11.

(25) Ibid., p.11.

(26) Ibid., p.11.

(27) Ibid., Pp.11-12.

(28) *Neglected Arabia*, July–September 1914, No.90, p.15.

(٢٩) لم يكن أغنياء البصرة وحدهم يدفعون للمُستوصف، فقد كان الجنود الأتراك يدفعون أيضاً، فقد ذكر الدكتور (وارل) في تقريرهِ لسنة ١٩٠٢م، ما يأتي: «منحنا أيضاً جندي تركي عالجناه، بعض الأثاث والمقاعد، بما مجوعه (٤٨) روبية، أي حوالي (١٦) دولار. وكنا في حاجةٍ إليها فعلاً». يُنظر:

Neglected Arabia, July to September / 1902, No.43, p.11.

(30) *Neglected Arabia*, October to September / 1903, No.48, p.21.

(31) Ibid., p.21.

(32) Ibid., p.21.

(33) Ibid., p.21.

(34) Ibid., p.21.

(35) *Neglected Arabia*, October to September / 1903, No.48, Pp.21-24.

(36) *Neglected Arabia*, July to September / 1903, No.47, Pp.10–12.

(37) Ibid., p.10–12.

(٣٨) إنَّ حاصل ضرب (٧٠) حالة في (١٥)دقيقة، تساوي (١٠٥٠) دقيقة، تقسيم (٦٠) دقيقة، يكون الناتج (١٧,٥).

(39) *Neglected Arabia*, April to June, 1904, No.50, p.13.

(40) *Neglected Arabia*, July–September 1914, No.90, p.14.

(41) Ibid., p.15-16.

(42) *Neglected Arabia*, January-March 1905, No.53, p.10.

(43) Ibid., p.10.

(44) Ibid., p.11.

(45) Ibid., p.12.

(46) Mason, Barny, Op. Cit., p.132.

(47) Ibid., p.133.

(٤٨) الحي: قضاء تابع لمحافظة واسط (الكوت)، جنوب العراق.

(٤٩) الشطرة: قضاء تابع لمحافظة ذي قار (الناصرية)، جنوب العراق.

(50) *Neglected Arabia*, July–September, 1907, No.62, Pp.7-9.

(51) Ibid., p.134.

(52) *Arabia Calling*, Vol.19, (July-September) 1896, p.6.

(53) *Neglected Arabia*, July to September / 1913, No.86, p.10.

(54) Rev. Alfred DeWitt Mason, D. D., Rev. Frederick J. Barny, M. A., *History of the Arabian Mission*, New York, 1926, Pp.119-120.

(62) Miss. A. Christine Iverson, Op. Cit., Ibid., p.16.

(63) *Neglected Arabia*, July to September / 1913, No.86, p.12.

(64) *Neglected Arabia*, July–August-September / 1915, No.94, p.17.

(65) Mason, Barny, Op. Cit., p.168.

(66) Ibid., p.147.

(67) Ibid., p.95.

(68) *Neglected Arabia*, October–November, 1917, No.103, p.4.

(69) Ibid., p.10.

(70) *The Michigan Alumnus Quarterly Review*, Michigan: Vol.63, p.119.

(55) Mason, Barny, Op. Cit., p.147.

(56) Ibid., p.148.

(57) *Eighty-Third Annual Report of the Board of Foreign Missions of the Reformed Church in America*, Presented to the General Synod at Asbury Park, New Jersey: June-1915, P.XXIX.

(58) *Neglected Arabia*, July–September / 1914, No.90, p.17.

(59) Ibid., p.14.

(60) Miss. A. Christine Iverson, M. D., *The healing art in Arabia. Medical mission of the Reformed Church in America*, Arabia, New York, 1911, p.16.

(61) *Neglected Arabia*, July–September / 1914, No.90, p.14.

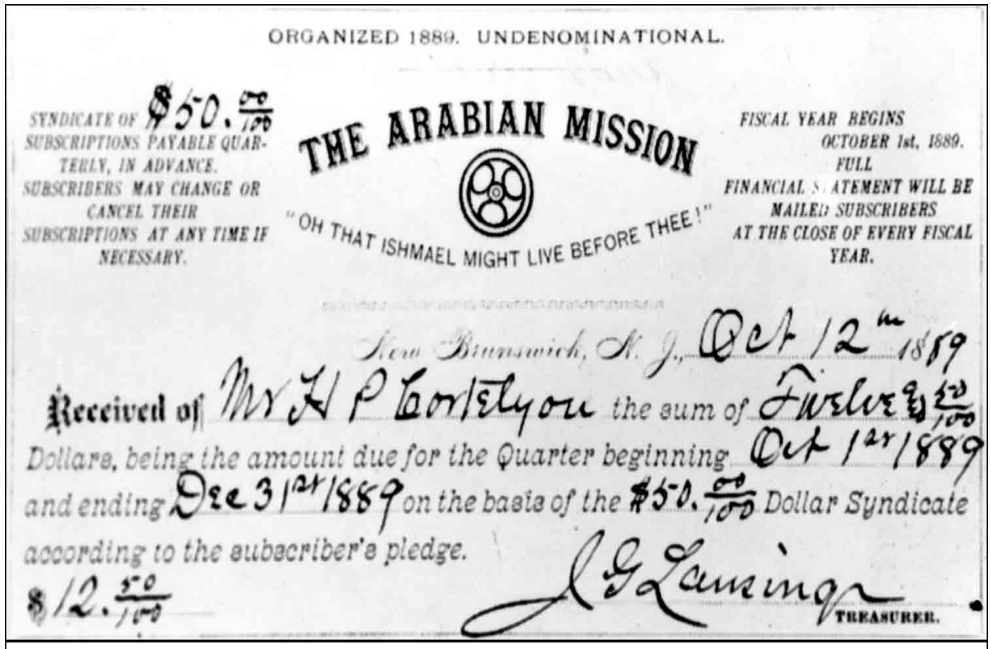
ORGANIZED 1889. UNDENOMINATIONAL.

SYNDICATE OF $50.00/100 SUBSCRIPTIONS PAYABLE QUARTERLY, IN ADVANCE. SUBSCRIBERS MAY CHANGE OR CANCEL THEIR SUBSCRIPTIONS AT ANY TIME IF NECESSARY.

THE ARABIAN MISSION

"OH THAT ISHMAEL MIGHT LIVE BEFORE THEE!"

FISCAL YEAR BEGINS OCTOBER 1st, 1889. FULL FINANCIAL STATEMENT WILL BE MAILED SUBSCRIBERS AT THE CLOSE OF EVERY FISCAL YEAR.

New Brunswick, N. J., Oct 12th 1889

Received of Mr H P Cortelyou the sum of Twelve 50/100 Dollars, being the amount due for the Quarter beginning Oct 1st 1889 and ending Dec 31st 1889 on the basis of the $50.00/100 Dollar Syndicate according to the subscriber's pledge.

$12.50/100

J G Lansing TREASURER.

The first receipt for a donation to the new Arabian Mission, October 12, 1889 اول ايصال لتبرع للإرسالية العربية الجديدة، ١٢ أكتوبر ١٨٨٩

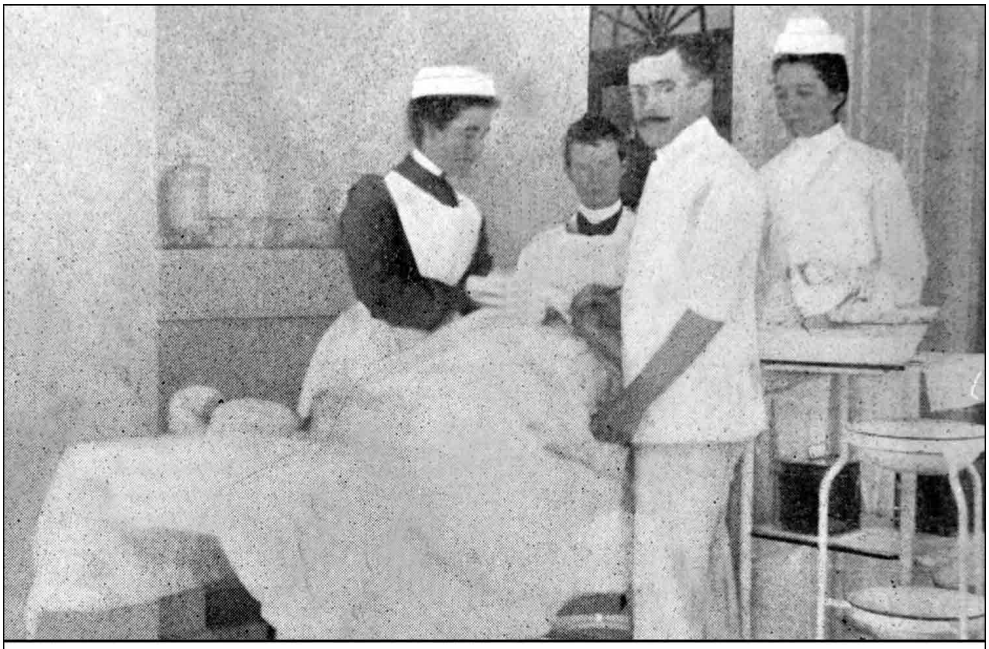

د. شارون تومز ومظفون آخرون في غرفة العمليات بمستشفى ميسن التذكاري في عام ١٩٠٤ Dr. Sharon Thoms and other staff in the operating room of Mason Memorial Hospital in 1904

د. سي. ستانلي جي. مالريا يدون ملاحظات عن مريض في جناح مستشفى ميسن التذكاري في عام ١٩٠٧
Dr. C. Stanley G. Mylrea writing patient chart notes on the ward of Mason Memorial Hospital in 1907

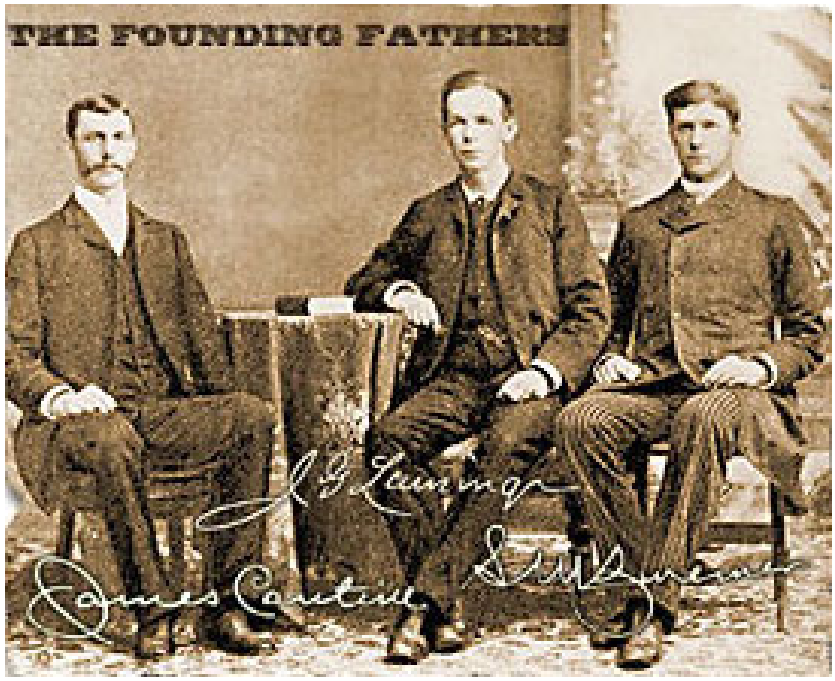

James Cantine, J.G. Lansing, and Samuel M. Zwemer, Founding Fathers of Arabian Mission for the Reformed Church of America

○ صور نادرة لمستشفى الإرسالية الأمريكية في بدايات القرن الماضي.

Medical Efforts and Services of the American Missionary in Basra (1892-1917) Through Reports of the Missionary

Assist. Prof. Dr. Kefah Ahmed al-Najjar
Baghdad University / Faculty of Arts

Abstract:

The American dispensary which had been established in 1892 as a part of the American – Arabic missionary had provided so many medical services to the people of Basra, there was no hospital in Basra providing regular and effective treatment services to the people in Ottoman era. The dispensary was developed into an integrated American hospital in Basra in 1911. Medical services which provided by doctors and nurses working in the dispensary and American hospital has been neglected by historians strikingly. Arab historians focused on the religious and political aspects of the American Missionaries and tried to explain their failure to convert Muslims to Christianity and to warn against the types of Christianity missionaries and to indicate their danger to Islam and Muslims. Historians did not care for the doctors worked in the dispensary and the hospital later, and the great services they introduced to people of Basra and their contributions in the treatment of many of the diseases that were intractable at that time.

In the other side, American historians focused on the reasons for the failure of the religious missionaries in the Arab countries and inability to convert Muslims of Basra to Christianity. They searched missionaries' efforts and how some tried to spread Christianity among Muslim patients. Thus, no one of the historians had ever documented the painstaking medical efforts made by American doctors in Basra under very harsh conditions in terms of the very hot climate, high humidity and the diseases they have suffered room and having been away from their homes for very long periods.

This paper, highlight the medical services provided by the American missionaries leaving aside their religious or political goals that led them to come to Basra, which was discussed by both the American and the Arab historians. To highlight the deep humanitarian aspects carried by most doctors when they came to Basra and mixed with the people, and this is what we will deal with here in.